د. محمد النويهي

قصتي مع الآداب

أفضل أن يكون هذا حديثا عن تجربة شخصية على أن يكون لجوءا الى تقريظ عام غير محدد .

في أواخر سنة ١٩٦٤ شاركت في ندوة أقامتها الجمعية الادبية المصرية حول شعر صلاح عبد الصبور بدراسة لقصيدته « أغنية من فيينا » من ديوان « أحلام الفارس القديم » . ثم عجزت وعجز أصدقائي من أعضاء الجمعية عن أن نجد مجلة مصرية تقبل نشرها ، لان الموضوع كما قيل لنا « حساس » . فاقترح عليّ ارسالها الى « الاداب » ، وبالفعل نشرتها « الآداب » في عدد فبراير ١٩٦٥ كاملة لم تحذف منها كلمة .

وفي أوائل سنة ١٩٦٥ سألني رئيس تحرير «المجلة» القاهرية أن أشارك فيها ببحث أدبي ، فكتبت دراسة للفن القصصي الدرامي في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وبراعته في تصوير مشاعر المرأة وانفعالاتها وقوتها وضعفها وتعدد شخصياتها . لكن رئيس التحرير اعتذر لي عن عدم استطاعته أن ينشر دراستي ، وأكد لي انه شخصيا يقدرها ويسره لو استطاع نشرها ، لكنه يخشى غضب المحافظين والمتزمتين ، مع ان حقيقة من أهم الحقائق التي عنيت بشرحها في الدراسة هي تعفف عمر وأدبه العظيم في التعبير عن التجارب المعينة التي تناولها ، على عكس ما يكتظ به أدبنا القديم من افحاش (وهذه أيضا ميزة بينتها في قصيدة عبد الصبور التي اشرت اليها) . فلجأت الى « الآداب » فبادرت بنشر دراستي على قسمين في ابريل ومايو سنة ١٩٦٥ ، لم تحذف منها سطرا ولم تغير كلمة ـ فيما عدا الاخطاء المطبعية !.

في تلك الاثناء كانت الاحوال قد ازدادت حرجا للحريصين على حرية فكرهم واستقلاله في مصر ، الامر الذي ينسب الآن الى تأثير « مراكز القوى » . فازداد لجوئي الى « الآداب » أنشر فيها كل ما تضيق به صحف القاهرة ومجلاتها ، من طريقتي الخاصة الغريبة في دراسة الادب القديم ، ودفاعي عن الشعر الجديد ، ودعوتي الى تحرير الفكر ، وتغيير مفهوم « القومية » حتى يتسع لتحليل الاخطاء والنقائص العربية ، وتطوير مقاييسنا الاخلاقية ، وتجديد فكرنا الديني . وهكذا نشرت لي « الآداب » أبحاث « من دروس الايام الستة : حركة الشعر الجديد في ضوء الهزيمة » في يونيو ١٩٦٩ ، و « الفضيلة بين البدو والحضر : هل نحن أرفع أخلاقا من الغربيين ؟ » في يوليو من نفس السنة ، ثم « والآن ... الى الثورة الفكرية » في فبراير ومارس ١٩٧٠ . وأبحاثا أخرى متعددة من قبل هذه ومن بعدها ، تركت لي في جميعها الحرية التامة في التعبير عن آرائي مهما تكن مخالفة للعرف السائد القومي أو الديني أو الاخلاقي أو الفني .

وما فعلته « الآداب » لي فعلته منذ نشأتها لعشرات آخرين من كتاب العرب ، على اختلاف مدارسهم السياسية والفكرية والفنية . ولست اعرف في العالم العربي كله مجلة تناظرها في سعة صدرها وسماحها لاختلاف الراي . فان كانت حرية التعبير من ألزم ما يلزم وطننا العربي كي يحقق ما يصبو اليه من تقدم ورقي ، وانتصار وعزة ، فاننا جميعا مدينون أعظم الدين الى « الآداب » . فلها مني التحية الصادقة ، والشكران العميق ، والدعاء بطول العمر وسعة الانتشار .

القاهرة